على هامش الوحدة بين مصر وسوريا

نحو أدب قومي جديد

بقلم علي بدّور

لم تكن الوحدة بين اقليمي الجمهورية ، شعارا سياسيا تحقق في عام ١٩٥٨ . بل هي نظرية متكاملة في المجتمع والدولة والفكر والادب . وهذا ما يدعونا لان نفكر من جديد ، في المظاهر الفكرية والادبية التي ولدت في ظل التجزئة التي اقامها الاستعمار ، وكل ما عمل له الاستعمار واعوانه لجعل هذه التجزئة خالدة في دنيا الحياة والناس . ولكن قيادة الرئيس عبد الناصر الناجحة ، المؤمنة بالشعب ، قد فتحت الطريق امام كل مواطن ليعبر عن رايه ويقدم براهينه ، لخير الامة والوطن .

القيم الجديدة والقيم القديمة

كانت الدول العربية تتطور على اساس العزلة السياسية التي اقامها الاستعمار . وكان هذا التطور يتصل بكل نواحي المجتمع ، ويمتد الى جذور بعيدة في الفكر القومي . وكانت القيم الفكرية التي يتمخض عنها المجتمع خلال تفاعله وتطوره ، تنعكس في الانتاج الادبي والفني ، في صور، قد لا تكون سليمة في مجملها فحسب ، ولكنها ليست سليمة في تفصيلاتها ايضا ، فالتاريخ الذي كان مادة حية لخلق روح فاعلة في الامة العربية ، اهمل واستعيض عنه بتواريخ قديمة لامم وشعوب انقرضت سياسيا ، ثم قوميا ، ثم فكريا .. ولم يبق لها لغة او عادات وتقاليد او مشاعر حية تنسكب في عقول الاجيال المتتابعة وارواحها . وكان التزييف قد بلغ حده في اواخر حكم الاستعمار الفرنسي في سوريا ، والاستعمار الانجليزي في مصر ـ بله بقية الاجزاء العربية الاخرى ـ فقد كان المجتمع في هذين البلدين يساق لان يؤمن بابطال القوميين ، ارادت ان تفرضهم ارادة الاستعمار عليه ، في الوقت الذي لا تربطه بهم ، اية رابطة يمكن ان تقوم مقام الاحترام للتراث اوالتسلسل غير المنقطع للاجيال . وفي الموجة الاستعمارية التي كانت تهب للبحث عن اجدادنا القدماء جدا .. كنا نرغم على ان ننسى اجدادنا العرب . والى جانب تشويه التاريخ الاصيل للامة العربية .. كان هناك تشويه مماثل للغة العربية ، والثقافة العربية بصورة خاصة . لقد وجد الاستعمار ان اهمال شان اللغة العربية سيؤودي الى خلق جيل غير متعلم لغته العربية كما ينبغي الى جانب اتقانه اللغات الاجنبية وثقافاتها .. مما يسهل عليه تقبل الاراء الجديدة في التاريخ القديم .. والثقافة العربية معا ! بعد ان عمد الاستعمار الى العناية بلغاته واهمال اللغة العربية والثقافة العربية. كما مد جسرا تاريخيا عائما ، ليصل ما انقطع من دنيا المنطقة القديمة بحاضرها . مختصرا بذلك فترة الحياة العربية والحضارة العربية وظلال الفكر العربي ، متعمدا الاساءة الى اللغة العربية والتاريخ العربي ، ليسهل عليه تنفيذ خطة تجزئة المجتمع العربي قوميا ، بعد ان جزأه سياسيا ، وليسهل عليه بالتالي حكم الشعب العربي ، بعد ان يكون الشعب قد فقد وحدته القومية واندثرت معالمها في اللغة والتاريخ . ولكن الوحدة بين الاقليمين ، قلبت خطط الاستعمار واعوانه رأسا على عقب .. وبدأت المعركة الفكرية بين القيم الجديدة التي حملتها الوحدة في طياتها ، وبين القيم القديمة للفكر والادب والفن التي نمت وترعرعت في ظل الاستعمار وحكم التجزئة .

الوحدة .. والادب القومي

ماذا تعني الوحدة في حقيقتها ؟

انها تعني الانتصار على الاستعمار ، بازالة التجزئة السياسية . ذلك ان التجزئة السياسية بين دول العالم العربي ، ليست من صنع الشعب العربي . انها من صنع الاستعمار واعوان الاستعمار . فاذا ازيلت التجزئة بين مصر وسوريا ـ ولو على بعد ـ فان ارادة الشعب قد تحققت من جديد . وان كل ما عمل له الاستعمار سوف يقف وينهار .. ان لم يكن قدتوقف وانهار بمجرد اعلان الوحدة بين الاقليمين . ولم يعدمعقولا في ظل الوحدة القومية ان يكون هناك اتجاهات خاصة توطد للتجزئة السياسية ، والتجزئة القومية . لان الارادة العربية التي تحررت في ظل الوحدة ، ينبغي ان تمارس نشاطها الفعال ، لخلق الظروف الملائمة كي يعاود الفكر القومي نشاطه ، فيبدع ادبا قوميا جديدا ، قد تخلص من عقدة النقص التي تبعثها الحدود السياسية المزالة ، والسعي لخلق قوميات منقرضة ، غير القومية العربية ، عقيدة واسلوبا للحياة . وليس معقولا في ظل الوحدة ان نستخرج قيما جديدة في الفكر والادب والفن ، مستمدة من تواريخ منقرضة بشعوبها ، وندعي مساهمة هذه القيم في تدعيم الوحدة وتقويتها . لان عناصر الوحدة بين دول العالم العربي .. بل والامة العربية المزقة ، انما هي القيم التي تطرحها اللغة العربية ، والتاريخ العربي ،والثقافة العربية ، والمشاعر التي تمد هذه القيم باسباب الحياة المتطورة .

ان الوحدة في حقيقتها هي انتصار ، على سياسة الاستعمار وحكمه البغيض . وهي التي ستفتح الباب على مصراعيه لكل المحاولات النبيلة التي ستكشف عن مظاهر القوة والبطولة والفن والادب في تاريخنا العربي ، بعد ان عملت يد الاستعمار ، على طمسه خلال عشرات السنين. كما سوف تردم الهوة التي فصلت بين ماضينا العربي ، وحاضرنا المتوثب، وستترك تواريخ الامم والشعوب المنقرضة في المنطقة ، للتثقيف العام . ولن تفلح ارادة الاستعمار واعوانه في فرض الابطال القوميين لهذه الشعوب والامم المنقرضة ، على الشعب العربي ، لان العروبة بلغتها وعاداتها وتقاليدها ، قد وضعت على رف التاريخ القديم ، كل هذه الامم والشعوب المنقرضة . وعبثا يحاول الاستعمار واعوانه ، اعادة الروح الى الهياكل والتماثيل والاجساد المحنطة !

خصائص الادب القومي

ان الادب القومي ، هو ما سوف تتمخض عنه الوحدة ونتائجها في

اعزاز اللغة العربية والثقافة العربية والعناية بالتاريخ القديم للامة العربية ، وكذلك تاريخها الحديث ، وهي مجزأة الارادة ، ممزقة الوطن ، مشلولة الحركة عن المساهمة في الحضارة الانسانية . واذا كان للادب القومي من خصائص تتجلى في الارادة الفاعلة والشعور المنطلق والفكر المتحرر ، فانها سوف تكون من ثمار هذه الوحدة وما يعقبها من وحدات جديدة . والادب القومي الذي نشعر بحاجتنا اليه ، هو ما كان هادفا لتاكيد بطلان التجزئة السياسية التي اقامها الاستعمار . لان بطلان التجزئة السياسية ، سيتبعه حتما الحكم على كل ما انتج وصدر لدى هذه التجزئة في الادب والفكر والتاريخ والفنون عموما . لكونه لا يتفق مع الوحدة ولا يصح ان يعطي اية قيمة ادبية او جمالية ما دام لا يراعي التطور القومي الذي حصل في المنطقة . كل ما في الامر انه سيبقى برهانا على القيم التي ولدتها التجزئة .. كما بقي الادب والفكر في عصور الانحطاط .. دليلا على تطور العقل والروح في هاتيك العصور ..

فاذا استطاع الادب في الجمهورية ، ان ينتصر على مخلفات التجزئة، فانه سيخوض معركة جديدة ، هي معركة وحدة المجتمع ، ووحدة اهدافه وقيمه . ذلك ان وحدة المجتمع في ظل التاريخ العربي الواحد والثقافة العربية القديمة ، حقيقة لا تنكر ... وسوف يعود المجتمع العربي الى وحدته بمجرد ان تزول مظاهر التجزئة وقيمها التي وجدها الاستعمار في التاريخ والفكر لدعمها ، ولا خلاف في ان وحدة المجتمع لا تعني وحدة جزئياته بل وحدة كلياته ان صح التعبير او صحت التسمية . فعمر مكرم وعرابي ومصطفى كامل هم ابطال قوميون للعرب جميعا وليس لمصر وحدها انهم كالخطابي بطل المغرب وعمر المختار شهيد ليبيا، والكواكبي المفكر وهنانو الثائر في سوريا . لان التجزئة خلقت ابطالا لا يستطيعون الحركة الا داخل الحدود . وهم بعد الوحدة كما كانوا قبلها سيكونون من الابطال الذين يفخر بهم العربي في وطنه الصغير ، وفي وطنه الشامل الكبير . فاذا رجعنا الى الوراء ، الى ما قبل التجزئة ، وجدنا الوطن العربي الكبير ، بالنسبة لطبيعة العصر آنذاك ونوعية التطور ، ينظر الى الامور ، على انها تخص العرب اجمعين ليس احدا منهم على التخصيص. ولا نريد ان نؤكد ان وحدة المجتمع لا تتنافى في ظل تنوع الالبسة والاطعمة واللهجات العامية المتداولة ، وما ينجم عن ذلك كله من ادب شعبي وموسيقى شعبية . لان ذلك مادة غنية ، تنوع مظاهر الخصب في حياتنا العربية وتنميها على الدوام .

شكل الادب القومي

ان الادب القومي الجديد ، لا يعني مزج خصائص الادب والفكر التي كانت سائدة في اقليمي الجمهورية بقدر ما يعني اصطفاء الافضل منها، في قالب ادبي من اللغة الفصحى لاغير . ذلك ان اللهجات العامية في الاصل لا تصل الى مستوى الفصحى في دقة التعبير واحكام القصد . وهي لتنوعها ليس في اقليمي الجمهورية فحسب ، بل في سائر ارجاء الوطن العربي ، سوف تقصر عن جعل الفكر والادب مستساغا في ربوع هذا الوطن الكبير . ولا نريد ان ندخل في مماحكة كلامية مع بعض الماحكين حول استعمال اللجهة العامية في الحوار القصصي ، واحيانا في السياق نفسه ، بقدر ما نريد ان نؤكد ان اللغة العربية الفصحى هي

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

ص.ب ٦٥٦ ـ تلفون ٢٧٦٨٣

الفلسفة عند العرب	انعام الجندي
حضارتنا على المفترق	رينه حبشي
هنيبعل (ج ٢)	جورج مصروعه
رياح في شراعي	سعيد تقي الدين
سبعون (الرحلة الثانية)	ميخائيل نعيمه

جسر التنهدات ـ عشاق فينيسيا

مذكرات انطوني ايدن

القومية العربية	عبد اللطيف شراره

جمال عبد الناصر في طريق الثورة

وراء القضبان	كاريل تشيسمان
يقظة العالم العربي	جان رودلف

مجموعة تراث العرب

	ق.ل
تاريخ الدول الاسلامية لابن طباطبا	٠٠٠
رحلة ابن بطوطة	١٥٠٠
رحلة ابن جبير	٦٠٠
تاريخ اليعقوبي جزءان	٢٠٠٠
تاريخ ولاة مصر لكندي	٧٥٠
مجموعة ديوان العرب	
ديوان ابن زيدون	٠٠٠
ديوان عامر بن الطفيل	٣٥٠
ديوان الخنساء	٣٥٠
ديوان النابغة الذبياني	٣٥٠
ديوان زهير بن ابي سلمى	٣٠٠

الناشر : دار صادر ـ دار بيروت

الوحيدة ، وسيلتنا للتفكير والتعبير .. وهي الوحيدة الصالحة لان تنقل الخواطر والافكار بين ابناء العروبة ، بعضهم الى بعض ، ما دامت لسان وحدتهم الكبير ، ووسيلة الوحدة الفكرية بنوع خاص . كل قصور عن استعمالها في سائر ضروب الفكر ، انما يعد رغبة مباشرة او غير مباشرة في تخليد ادب التجزئة وفكر التجزئة ، ومحاربة الوحدة العربية التي كانت تقوم ، من حيث التعبير عن الافكار ، على الكتابة بالفصحى. وباطل كل تبرير للكتابة بالعامية ، باسم الفن . لان الفن في الاساس لا يوجب تشويه اللغة من اجل صدق التعبير . وليس هناك من فن صحيح اذا لم تنطلق اسسه عن لغة صحيحة ، فيكون تنوع ما يكتب بها ، هو مادة غناها بالاصيل من الافكار ، والسامي من المشاعر ، في اطار جم الصور ، جم الاخيلة والاحاسيس ، وسيبقى ابدا ، فيكون الادب القومي الذي ندعو اليه في ظل الوحدة المباركة ، شكلا فصيحا لا عاميا ، يتوفر بناته على دراسة مظاهر التاريخ العربي والثقافة العربية لاستخلاص مضمون هذا الادب القومي الجديد .

مضمون الادب القومي

وللادب القومي عدا عناصره ، مضمونه الثوري الذي لا يمكن ان ينهض الا به ، انه مادة خلاقة ومبدعة ومطورة لانساننا العربي الجديد، ذلك الذي ولد في الاحداث والثورة وعاش نضال الامة العربية من المحيط الى الخليج . وهو الاحساس والشعور بمشكلات الوطن الكبير والامة الواحدة ، والانفعال الصادق لما تلاقيه في كل وطن وارض من رجس الغاصبين والاعيب المستعمرين . هو الذي يوحد القضايا الفكرية والنضالية والفنية ، ولا يفرقها ، ويرتفع بالمواطن عن وطنه الصغير ليطل من افقه على وطن اكبر ... ويدعه يحيا في مشكلات هذا الوطن الكبير جملة وتفصيلا .. يتأثر بحوادثها واحداثها ويعيش افراحها ومآسيها وينفعل بما يصيب المواطن العربي ، في اطار من الثقافة القومية والتوجيه السليم ، بحيث تصيب الفكرة حظها من الاهتمام ولا يقف المواطن عند التطوع بما ملكت يداه او قلمه او لسانه ، بل بكل هذه الملكات والامكانيات جميعا . ولذلك فنحن مدعوون لتعميق مفهوم التاريخ القومي العربي في ضمير الشعب العربي والاجيال العربية الصاعدة بوجه خاص ، واطلاع هذه الاجيال على ما في هذا التاريخ ، من جوانب للخير والبطولة بلغت حد الاسطورة وهي ليست اسطورة ، وبث روح الاعتزاز بهذا التاريخ القومي وبلغته العربية ، اللغة القومية ، وعكس واقع الامة العربية وهي ممزقة ، على ذلك الماضي القريب او البعيد ، الذي كانت فيه امة قوية ذات صولة وسلطان ، وانتظار الحفدة كي يؤدوا ما اداه الاباء والاجداد ، من رفع راية الحرية والاستقلال والوحدة ، وجعل السعي نحو هذه الامال المعبرة عن ارادة الشعب العربي مثلا اعلى لكل مواطن عربي .

ان الانسان العربي الجديد الذي يعيش الوحدة بحاجة الى ادب جديد بكل اشكاله ومضامينه ليجعل منه مواطنا لا ينظر الى الحدود السياسية نظرة تقديس للكيان الموهوم ، بل ينظر الى الحدود السياسية لوطنه العربي الكبير من المحيط الى الخليج ، والى قضية وطنه الكبير مع الاستعمار ، كجزء لا ينفصل من قضية وطنه الصغير مع الاستعمار مهما تنوعت اشكاله . اما مفهوم الحرية المقتصرة على الاوطان الصغيرة ، فهو مفهوم خاطىء وقاصر عن استيعاب لفظ الحرية ومعناها الاصيلين . اذ ان الحرية اذا لم تكن مبنية على اساس من وحدة العالم العربي الكبير فسوف تعتبر حرية ناقصة مريضة ، ويمكن في كل وقت الاعتداء عليها .. ومن مهام الادب الجديد ان يحرر الاجيال العربية التي ولدت في ظل التجزئة ويطلق قواها من عقالها لتعمل للقضية العربية ككل .. ذلك ان تجزئة القضية الواحدة ، انما هو قفل لها وليس احياء في كافة الازمنة والعصور .

وتعميق مفهوم التاريخ القومي في ضمير الاجيال العربية ، سوف يؤدي الى تعميق مفهوم الثقافة القومية التي يتثقف بها الناشئة على ضوء هذا التاريخ القومي الاصيل ، فلا يتركون الثقافة التي تصلح لكل وطن ما عدا وطنهم ولكل امة ما عدا امتهم . فاذا تعمق مفهوم الثقافة القومية ، امكن للادب القومي ان يبدأ نموه بشكله ومضمونه الثوريين المبدعين . ولا يعقل بحال من الاحوال ان يكون لنا ادب قومي جديد ، يعبر عن قضية الامة العربية ويحقق مبررات وجود الانسان العربي في هذا العصر الحديث ، دون العناية بالتاريخ القومي اولا ، وبالثقافة القومية ثانيا ، ليكون لنا قيم ادبية وفنية وجمالية صحيحة . وقد تكون الطريق صعبة والمهمة شاقة ، ولكن طريق نهضة الامة العربية وحريتها ووحدتها ، هو الطريق الذي آلى على نفسه الجيل العربي المكافح ان يسير فيه ، ورغم كل العقبات والصعوبات ، لايمانه ان طريق الحرية في الداخل والخارج ، والوحدة المعبرة عن تلاقي ارادة الامة العربية ، على صعيد التحرر القومي ، هو طريق القومية العربية ، من اجل مجتمع عربي واحد ، ودولة عربية واحدة ، وفكر عربي واحد ، وادب قومي يعكس اصالة العروبة ويعبر عن سمو الذات العربية المبدعة .

حمص — علي بدور

المجموعة السيكولوجية

تعالج مشاكل الحياة النفسية على ضوء العلم

		ق.ل
تغلب على الخجل	ترجمة : عبد اللطيف شراره	١٠٠
سيطر على نفسك	» » » »	١٠٠
تغلب على التشاؤم	» » » »	١٠٠
سلطان الارادة	» » » »	١٠٠
مفتاح الحظ	» » » »	١٠٠
سحر الشخصية	» » » »	١٠٠
كيف تكسب المال	» لويس الحاج	١٠٠
تغلب على القلق	» » »	١٠٠
الايحاء الذاتي	» بهيج شعبان	١٠٠
تغلب على الخوف	» لويس الحاج	١٠٠
التنويم المغناطيسي	» بهيج شعبان	٢٥٠
سعادتك بيدك	» » »	١٥٠
طريق النجاح	» » »	١٥٠

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر